سلسلة بستان الزهور

الخيوط الذهبية

رسوم وجرافيك
إبراهيم عبد العزيز

تأليف
لمياء شرف

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

صفيةْ بنتٌ حكَايَتُها تَبْدُو أُسْطُورِيَةً,
وَلَكِنَّ الواقِعَ أَنَّها حِكَايَةٌ حقيقيةٌ حدثتْ
فِي إِحْدَى المُدْنِ العربيةِ مُنْذُ زَمَنٍ
بَعِيدٍ مُنْذُ حَوَالَيْ ألفَ سَنَةٍ هِجْرِيَةٍ .

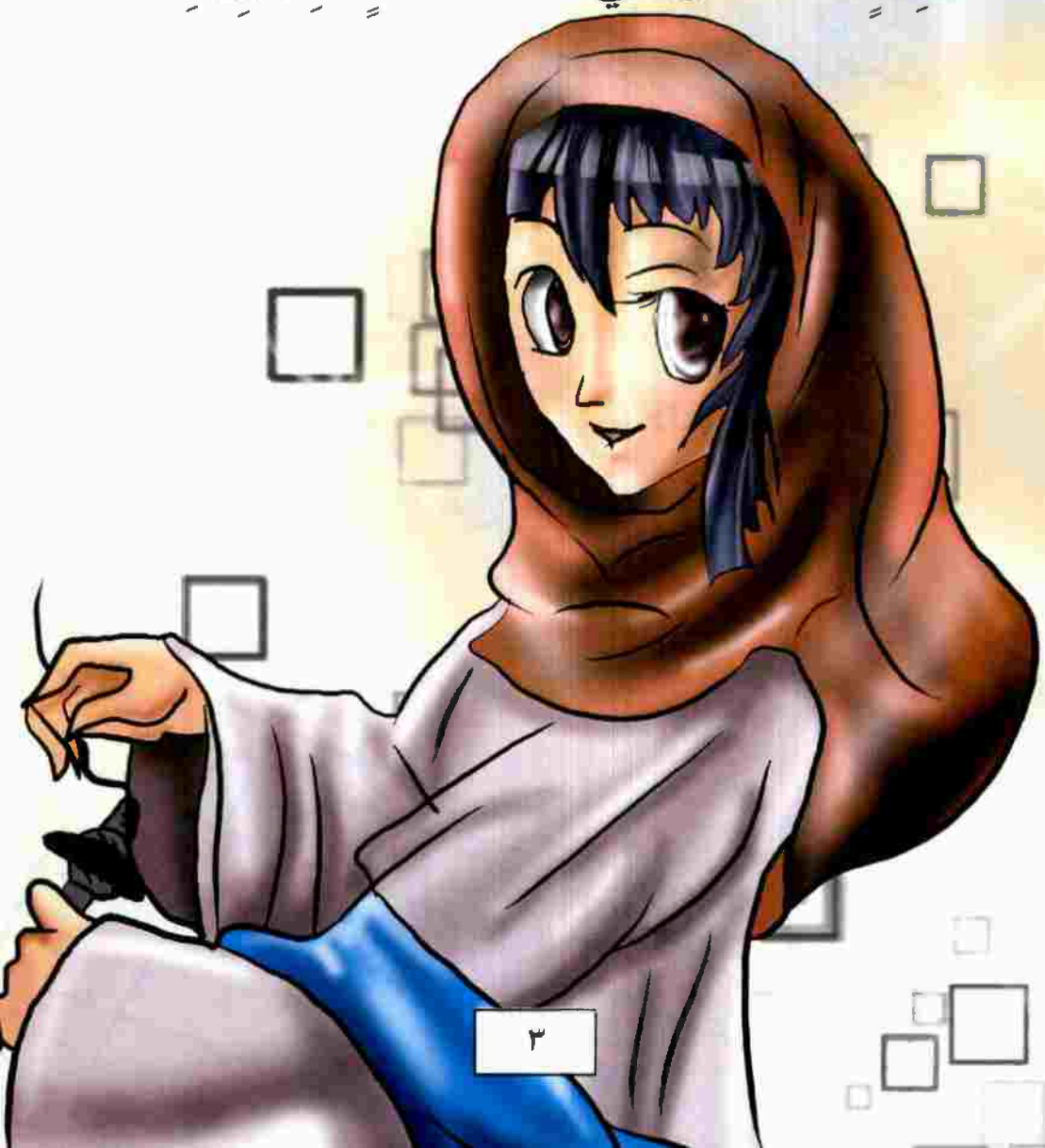

فِي صباحِ يوم مُشْرِقٍ صَعِدَتْ صفيةُ إلى سَطْحِ المنْزِلِ , وَجَلَسَتْ تَحِيكُ إِحْدَى الْمَفَارِشِ الْمَصنوعَةِ منْ الخيوطِ الذهبيةِ , فَهِيَ تُجِيدُ الحِياكَةَ وَعَملَ كُلِّ المفروشَاتِ اليدويةِ , وأيضًا أخلاقُها الكلُّ يُشِيدُ بأَنَّهَا أخلاقٌ مثاليةٌ , فَهِيَ تُساعِدُ أُسْرتَهَا وتَعْمَلُ كَيّ يَعيشُوا عِيشَةً هَنِيئَةً , وبَيْنَمَا هِيَ منهمكةٌ فِي عَمَلِهَا وَخَزَتْ إِبرَةُ الحياكةِ إِصْبَعَها , فَتَألَّمتْ صَفِيَةُ , وَسَالَ منْ إِصْبعِهَا قطرةُ دمٍ ذكيةٍ عَلَى أَحْدَى أَطْرَافِ الْمَفْرَشِ الْمصنوعِ مِنَ الخيوطِ الذهبيةِ

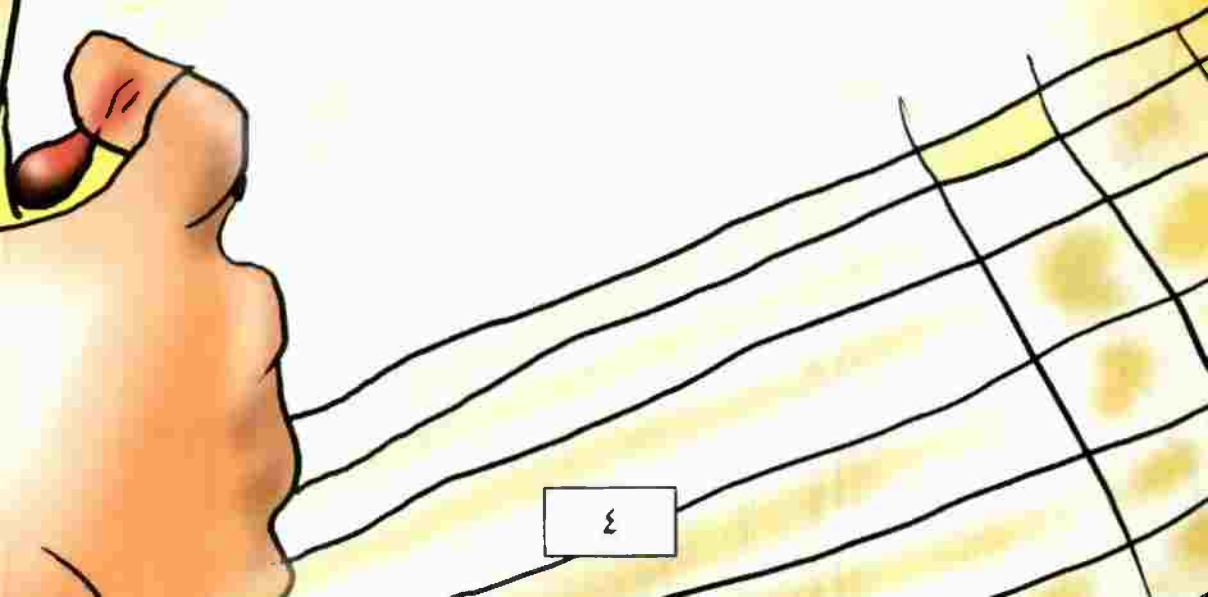

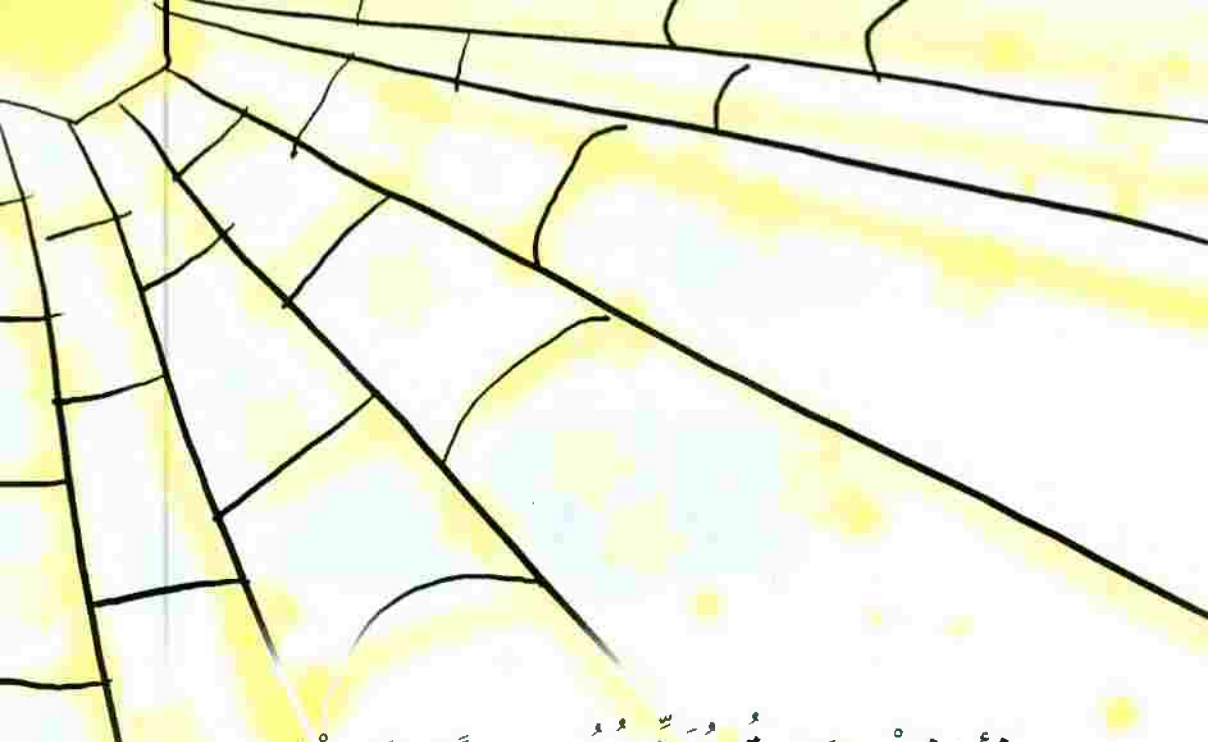

فأخذتْ صَفيةُ تُنَظِّيفُهُ سَرِيعًا بِيَدِيهْا الرقيقةِ كَيْ لا يَتلفُ المفرشُ , وتَذهبُ صُورَتَهُ البْهِيَّةُ , وَفجأةً بدأتْ الخيوطُ تَزْدَادُ طُولاً وعَرْضَاً وتَتَّسِعُ لتَصْنَعَ شَبكَةً عَنْكَبُوتِيَةً , فَركِتْ صَفِيَةُ عَيْنَيْهَا كَيْ تَتَأَكَدْ أَنَّهَا تَرى صُورَةً حقيقةً , وَلَكِنَّ الخيوطَ استمرتْ تَزْدَادُ وتَتَشَابَكُ مَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ فِي شَكلِ رُسُومَاتٍ هَنْدسِيَةٍ , فَأَمْسَكَتْ صَفِيةٌ بِالخُيُوطِ فَوَجَدَتَهَا أَصْبَحَتْ خُيُوطًا قَوِيَةَ ,

وَعلَى غَيْرِ الْعَادَةِ هَبَّتْ رِيحٌ عَاتِيَةٌ فَأَنْطَلَقَ المَفْرَشُ يَطِيرُ فِي الْهَواءِ ، وَتَشَابَكَتْ صَفِيةٌ بِالْخُيُوطِ الذَّهَبِيَةِ صَرَخَتْ صَفِيةٌ وَظَلَّتْ تَصْرُخُ وَتَصْرُخُ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى مِنْ تِلْكَ الصَّرَخَاتِ الْمدَوِيَّةِ أَغْمَضَتْ صَفِيةُ عَيْنَيْهَا مِنَ الْخَوفِ وتَمَسَّكَتْ بِالْخُيُوطِ بِكُلِ مَا تَمْلِكَهُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَظَلَّ الْمَفرشُ يَطِيرُ وَكَأَنَّهُ أُرْجُوحَةٌ مِنْ الْحَرِيرِ ، وَبَدأَتْ صَفِيَةُ تَشْعُرُ بِالهُدُوءِ وَالسَّعَادَةِ ، وَفَتَحتْ عَيْنَيْهَا لِتَرَى سَحَابَةً كَبِيرَةً بَيْضَاءَ فِي السَمَاءِ وَكَأَنَّهَا وِسَادَةٌ .

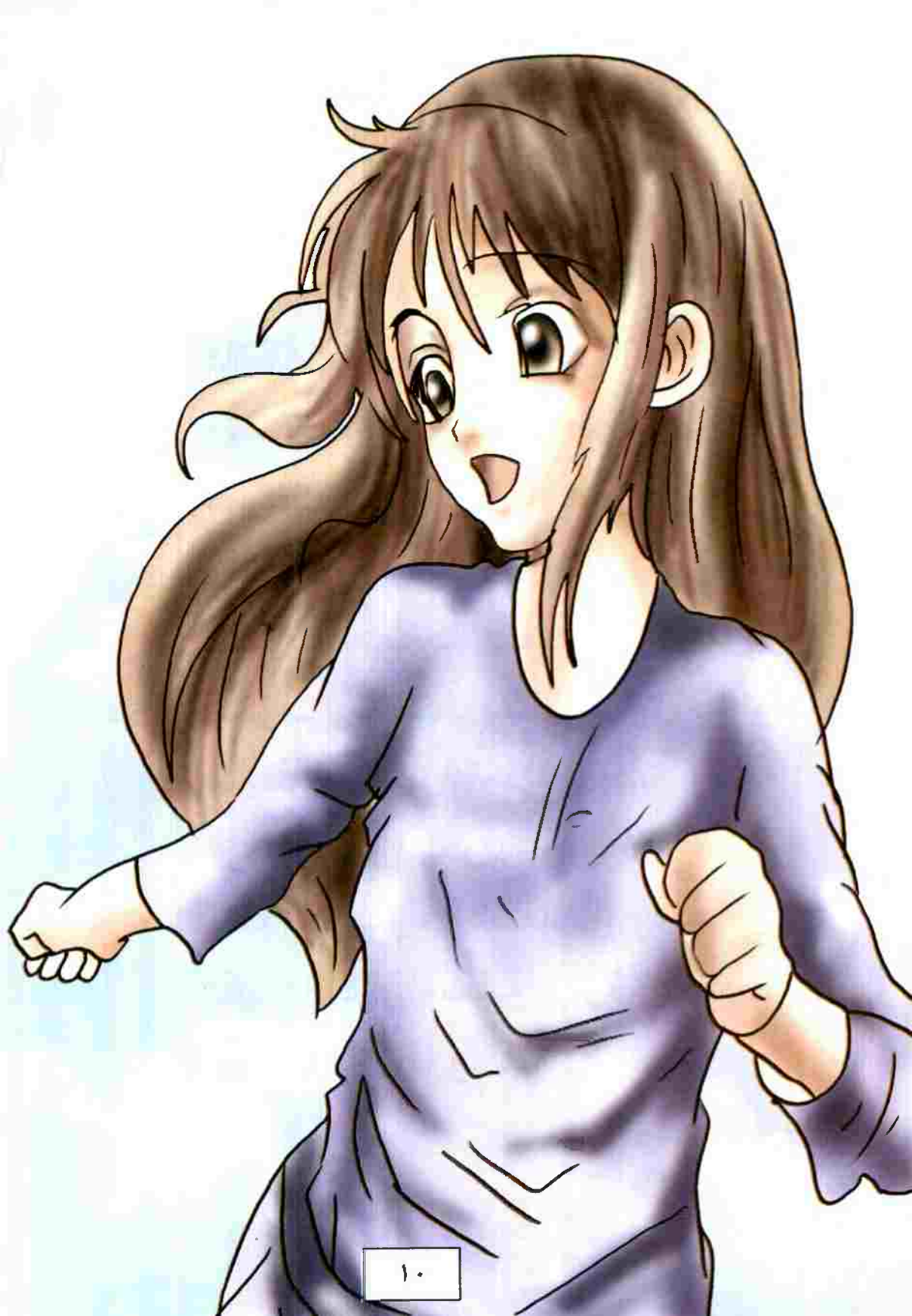

وَالطَّيُورُ تُلَوِّح لَهَا وَتَقُولُ : هَذِهِ الْخُيُوطُ الذَّهَبِيَّةُ التِي سَوْفَ تُنْقِذُنَا مِنَ الْحُرُوبِ وَالْجُيُوشِ الإِسْتِعمَارِيَّةِ , فَتَعَجَّبَتْ صَفِيةُ لِهَذِهِ العبارةِ التِي تَكْشِفُ عَنِ الحياةِ المُستَقبَلِيَّةِ , وفِي إِحْدَى أَطْرَافِ المدينةِ كَانَ هُنَاكَ قَصرٌ عَظِيمُ البنيانِ , وتُحَاطُ بِهِ الأَسْوَارُ وَالحرَّاسُ.

لَقَدْ كَانَ هَذَا القَصرُ هوَ قصرُ الملكِ , وعنْدَ إحْدَى شُرُفَاتِ القصرِ أقْتَرَبَ المفرشُ بالخيوطِ , وبدأ ينكمشُ طولاً وعرضاً , فسقطتْ صفيةُ فِي الشُرفةِ والتَقَطَتْ المفرشَ بالخيوطِ الذهبيةِ , فطوَتْهُ بعدَ أنْ رَجَعَ لصُورَتِه الأوليةِ , ومِنْ وراءِ زُجاجِ الشرفةِ أَخَذتْ صَفيةُ تنظرُ عَلَى القصرِ الملكيِّ وهِيَ مُنْبَهِرةُ بمَا تُشَاهِدُهُ , مِنْ سَاعَاتٍ وَتُحَفٍ , وَصُورٍ فَنِيَةٍ , وَرُسُومَاتٍ عَلَى الحوائطِ تَعكِسُ المَهارةَ المِعْماريَّةَ , وستائرٍ مُنْسَدِلةٍ مُخمَلِّيةٍ , وبَينَما هِيَ غَارِقَةٌ فِي تَأَمُلاتِهَا وَأَحْلامِهَا أَفَاقَتْ عَلَى صَوْتٍ قوي أَجَشٍّ فَنَظَرَتْ تِجَاهَ الصَّوتِ لِتَجِدَ الملكَ يُنَّادِي فِي رَئِيسِ الحرَّاسِ

ويأْمُرَهُ أَنْ يَأْتيَ بِأَسْرَعِ الخُيولِ , لِيُسَافِرَ بِهِ وَلِيُّ العهْدِ ابنَهُ الأَميرُ منصورُ إِلَي حُدودِ البلادِ , ويُحَقِّقُ النَّصَّرَ عَلَى الأَعْداءِ , وبَينَما كَانَ الملكُ يتحدثُ مع رئيسِ الديوانِ .

جَاءَ الأَميرُ منصورُ لِيُخبرَ وَالِدَهُ الملكَ العظيمَ أَنَّهُ استعدَّ للرحيلِ , وأَنَّ الجيوشَ فِي انتظارِ مجيئَهُ ليكونَ قَائداً لَهُمْ , ويَدُبُّ فِي نفُوسَهُم العزيمةَ وَرُوحَ النضالِ ورَفْضَ الهزيمةِ , وطردَ كُلِّ مُعتدٍ يُفكِرُ فِي الهُجومِ عَلَى المدينةِ , وينهَبُ كلَّ الثرواتِ الثمينةِ .

وحينئذٍ جَاءَ أحدُ الجنودِ مُسرِعاً قَائلاً :

يا مَلِكَ البلادِ ... يا مَلِكَ البِلادَ

هُنَاكَ جَاسُوسٌ فِي شُرفَةِ القَصْرِ , فَسَمِعَتْ صفيَّةُ ما قَالهُ الجُنديُّ وارتعشتْ منَ الخَوْفِ , ونَادَى الملكُ : يا حُراسُ ... أَمسِكُوا بهذا الجاسُوسِ في الحالِ , ولكنْ بِسُرعةِ الريحِ , أنطَلَقَ الأَميرُ منصورُ نَحْوَ الشُّرفَةِ ليمْسِكَ بالجاسُوسِ , لِيَجِدَ أَمَامَهُ أَجْمَلَ فتاةٍ فِي المدينةِ أَنَّها صَفيةُ المسكينَةُ , فَسَأَلَهَا فِي دَهشةٍ : مَنْ أنت يا فَتاةُ ؟ فقالتْ لَهُ وَهِيَ تَرْتَعِشُ منَ الذُّعرِ : أَنَا اسْمِي صَفِيةٌ , وَحِكَايَتِي بدأَتْ هَذَا الصَّبَاحُ مَعَ الخيوطِ الذهبيةِ . فقالَ لَهَا الملكُ : وَمَا هِيَ تِلْكَ الخيوطُ الذهبيَّةُ ؟ فأَخَذَتْ تَسرُدُ صَفِيةُ حِكَايَتَهَا , وَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي حالةٍ غَيْرِ مُرضِيَةٍ مِنَ الْخَوفِ ,

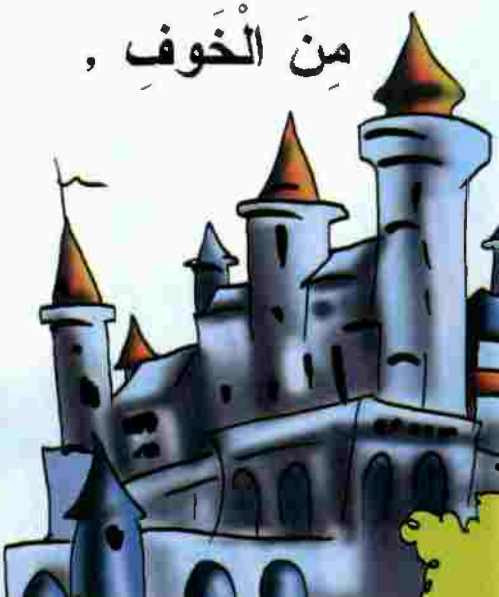

فالتقطَ المَلكُ المَفرَشَ ذو الخيوطِ الذهبيةِ منَ يَدَهَا , وَأَخَذَ يَفْرُكُ أَحَدَ أَطْرَافِ الخُيوطِ , لِيَجدُهَا تَزْدَادُ طولاً وعَرْضاً وَقَدْ صَنَعَتْ شَبكَةً قَوِيةً فَقَالَ الأَميرُ منصورُ : هَذهِ الخيوطَ يا وَالِدِي سَوْفَ تُسَاعِدُنِي فِي الوُصُولِ إِلى أَطْرَافِ المدينةِ بِسُرْعَةٍ , فَسُرَّ المَلِكُ لِهذهِ الفكرةِ الجميلَةِ , وبعدَ مُرُورِ عِدَّةِ أسابيعٍ عَادَ الأَميرُ وَمَعَهُ النَّصْرُ ودَبَّتْ الْفَرحَةُ أَرْجاءَ المدينةِ والقَصْرِ , فالتعَاوُنُ والإتحادُ بَيْنَ البلدانِ العربيَّةِ يجْعَلُ الشُّعوبَ أَقْوى مِثْلَ الخُيوطِ الذَّهبيَّةِ , وتَزَوَّجَ الأميرُ منصورُ بأجْملِ فتاةٍ ..صفيةٌ , وكَانَ مَوكِبُ العُرْسِ يزدانُ بالخيوطِ الذهبيَّةِ .